مادة الأدب الإسلامي / المرحلة الثانية

د. ميسون محمد عبد الواحد

المحاضرة الأولى

عنوان المحاضرة:(مدخل الى التعريف بالأدب الإسلامي وأهم الملاحظات الخاصة به)

أولا- التعريف بالأدب الإسلامي:

وهو الأدب الذي كُتبَ باللغة العربية منذ ظهور الإسلام حتى أواخر الدولة الأموية ، ويدخل ضمنه الأدب العربي الملتزم بالدعوة الإسلامية والمدافع عن الإسلام ، والمتأثر بمبادئه . كما يدخل فيه الأدب الذي قيل في هذا العصر دون أن يكون للإسلام فيه أثر كبير ، وإنما يُدرج ضمن هذا العصر تاريخيا؛ لأنه قيل في العصر الإسلامي.

ويدرس الباحثون الأدب الأموي ضمن إطار الأدب الإسلامي ، ولعلهم في هذا يعدونه امتداداً للأدب الإسلامي مع ما وجد فيه من تيارات أدبية وفكرية جديدة أو متطورة نتيجة التغيرات التي طرأت في هذا العصر.

إما التطور الذي طرأ على اتجاهات الشعر في العصر الأموي فهو استمرار لتيارات عرفت في عصر ما قبل الإسلام ، وأصابها شيء من التجديد والتغيير.

وبذلك يكون مصطلح ألأدب الإسلامي منهجاً تاريخياً يقصد منه تيسير دراسة الأدب العربي عبر حلقات تاريخية معينة.

ثانيا- ملاحظات تخص الأدب الإسلامي:

هناك ملاحظات تخص مرحلة صدر الإسلام أكثر من مرحلة الأدب الأموي وهي كما يأتي:

١- شموله الشعر والنثر:

كانت الحياة العربية قبل الإسلام مدعاة لنشاط الشعراء والخطباء . فوصف العرب بالبلاغة وقوة العارضة . ووجود الكتابة مع فقدان النصوص النثرية على معرفة العرب لها قبل الإسلام ، إلا إن الملاحظة التي نلحظها في أدب صدر الإسلام هي شموله الشعر والنثر مع وصول ثروة كبيرة من الخطب والرسائل مما

اقتضته طبيعة الكثير من الأحداث ومقتضيات الأمور مما تطلبه الدولة الجديدة ووجوب مراسلة القبائل العربية أو مكاتبة الدول المجاورة ودعوتها للإسلام.
وكانت وقائع الفتح والتحرير حافزاً قوياً لتنشيط الكتابة والخطابة . يقول محمد مصطفى: (فلما جاء الإسلام صارت الدولة للنثر لأنه هو الموافق للجد الذي أخذ العربي في سبيله ، فدعا به النبي – صلى الله عليه وسلم– قومه الى الإسلام وراسل به الملوك وكتب به العهود وشرح به الدين).

ب – الانتحال:

ومما يلاحظ في هذا العصر كثرة الشعر المنحول الذي وضع على لسان بعض الشعراء وممن أشار الى هذه الظاهرة ابن سلام (–٢٣١ هـ) وبين أسبابها . فقد وضع على لسان (حسان بن ثابت) شعر كثير أراد به أصحابه ان يكسبوا قضية سياسية في جعل شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول فيهم أشعاراً. أو ليخففوا بعض أشعار هجاء قالها حسان فيهم أيام شركهم . وذكر ابن سلام أن أبا طالب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) كان شاعراً جيد الكلام وأبرع ما قاله قصيدة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) وهي:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

وقد زيد فيها وطولت . وقد ورد في كتاب (يوسف بن سعد) ما يدل على أنّ قد زاد الناس فيها فلا أدري أين منتهاها ؟ وقد سألني الأصمعي عنها فقلت : صحيحة قال : أتدري أين منتهاها ؟ قلت : لا ادري.

والانتحال هو الشعر الموضوع الذي تناقلته الرواة بزيادة أو تحريف ، ولعل أشهر من وجهت إليه تهمة نقل الشعر غير الموثق (ابن إسحاق) صاحب كتاب السيرة النبوية إذ اتهمه ابن سلام بأنه ممن هجّن الشعر وأفسده، وكان من أعلم الناس بالسير فنقل الناس عنه الأشعار . وكان يعتذر عنها ويقول لا علم لي بالشعر ، إنما أوتي به فأحمله ، ولم يكن ذلك له عذراً فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، فضلاً عن ذلك كتب في أشعار النساء.
وقد نسب ابن إسحاق شعراً لورقة بن نوفل يقول فيه:

وإن يـكُ حقّـاً يـا خديجـةُ فـاعلمي حديثُــكِ إيّانــا فأحمــدُ مرســلُ

وجبريــل يأتيــه وميكــالُ معهمــا من الله وحـيٌ يشرحُ الصدر منزلُ

ومع هذه الإشارات التي تدل على وجود الانتحال في شعر صدر الإسلام إلا أن للباحثين جهوداً كثيرة في نحل الشعر الموضوع عن غيره.

ج- الاختلاف في نسبة الاشعار:

اختلطت الأشعار على الرواة وهذه الظاهرة موجودة في شعر صدر الاسلام ، روى ابن إسحاق مقطوعة نسبها الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قالها بعد اسلامه وهناك رواية تقول إنّها لأبي طالب وعقّب على هذا القول بما يوحي بشكه في نسبة الأبيات عبارته (فالله أعلم بمن قالها) . والأبيات هي:

أَفيقــوا بنـــي غالـــب وانْتَهُـــوا عن البَغْيِ فـي بعضِ ذا المَنْطِقِ

وإلاّ فإنّـــــِي إذن خائـــــــفٌ بَوائـــقَ فـي داركُـــمْ تَلْتقـــي

واختلفوا ايضاً في الشعر الذي فيه دعوة للدين الإسلامي وحط من عقلية المشركين في نسبته الى حسان بن ثابت ، أو كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة لتشابه المنهج الذي التزموهُ في الدفاع عن الدعوة الاسلامية . ومن ذلك قصيدة قيلت في رثاء حمزة بن عبد المطلب ، رواها ابن اسحاق لعبد الله بن رواحة ونقل ابن هشام عن ابن الأعرابي أنّها لكعب بن مالك . ورواها ابن منظور لحسان بن ثابت وهي:

بَكَـت عَينـي وَحُـقَّ لَهـا بُكاهـا وَمـا يُغنـي البُكـاءُ وَلا العَويـلُ

د- شعر كثير غير منسوب:

وهذا الشعر موجود في شعر الدعوة الاسلامية وقد حفظت الذاكرة العربية كثيراً من الأبيات والمقطوعات التي لم تسجل أسماء شعرائها لأنّ ما يهم هذه الذاكرة

تسجيل الحادث أو الموقف الذي أُنشد فيه الشعر كما هو الحال في شعر الفتوح الاسلامية . إذ نجد عبارة مكررة وهي: (قال رجل أو قال أعرابي ، قال بعضهم).

هـ – ضياع شعر المشركين:

وهو قليل مما وصل إلينا من الشعر الذي قاله الكفار ضد الدعوة الاسلامية ، والرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بالذات ، فمن المعروف أن ظهور الإسلام كان أكبر حدث سياسي وفكري هزّ العرب ، وأثارهم فانقسموا الى حزبين: هما حزب الاسلام ويدعو الى الدين الجديد ويدافع عنه ، وحزب الكفر ويمثل قريش والقبائل الأخرى التي تحالفت معها على محاربة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والوقوف بوجه الدعوة الجديدة ، وإن كان شعراء المشركين قد قالوا شعراً كثيراً ولكنه لم يصل إلينا.

وسبب ذلك لأن شعراء المشركين قد دخلوا الاسلام فيما بعد وثقل عليهم ما قالوه في أيام الشرك فعملوا على نسيانه وعدم تكراره وتداوله بين الناس لأنه يذكرهم بأيام شركهم وعداوتهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) ولأنه يثير الضغائن والأحقاد بين القبائل.